

السلوك الإيجابي في مفهوم علوم الإيزوتيريك



المهندسة هيفاء العرب

يتعمق علم الباطن الإنساني - الإيزوتيريك في دراسة السلوك الإيجابي من منطلق تعمقه في ماهية الوعي الإنساني، وكيفية توسيع نطاقه في النفس البشرية من خلال الممارسة والتجربة. وبالتالي يصبح السلوك الإيجابي، من منظار علم الإيزوتيريك، هوفاتحة للوعي، يتخطى الإيجابية الظاهرة في ممارسات النفس البشرية إلى كشف حالتها الداخلية الخافية عن العيان، وذلك بهدف دراستها وتنقيتها عملياً من كل ما يؤثر سلباً في تماسك الصرح الداخلي في الإنسان.

السلوك الإيجابي هو المسلك العملي، والتصرف اللائق الذي يعبر عن الإيجابية في المواقف التي تستفز الانفعال عامة. وهو



يبدأ من النفس كمحور، ثم يتوسّع في النطاق الحياتي القريب، وصولاً إلى النطاق العملي الحياتي البعيد، والأبعد. وإذا ما تركّز السلوك الإيجابي على الخارج فقط، فهذا يعني أنه دبلوماسية ومسايرة لا تتبع من أساس إيجابي في النفس، وإذا ما تركّز على الداخل فقط، فهذا يعني أنه ضعيف ونظري وتتقصه الخبرة الحياتية. السلوك الإيجابي إذاً، هو، أولاً وأخيراً، تعبير عن الصفات النفسي القائم على الانسجام الداخلي، والتوازن العملي بين الفكر والمشاعر. وإذا لم تتوافر هذه الحالة النفسية، فلا يمكن إيجاد أو فرض التصرف الإيجابي من منطلق: «أن فاقد الشيء لا يعطيه»، وعلى هذا الأساس يرسّخ السلوك الإيجابي العميقة في النفس، فيخلق حالة من الراحة العميقة فيها، وهي ما يتعارف عليها «بالتصالح مع النفس»، الأمر الذي يحقق انسيابية التواصل الداخلي والخارجي مع الآخرين.

ترتكز مسألة تقوية السلوك الإيجابي في النفس على مراقبة ودراسة «انفلات» التصرفات السلبية لا إرادياً، ذلك ينبّه المرء إلى تحديد المواقف التي تظهر فيها نقاط الضعف النفسية على صعيد الفكر والمشاعر. وإذا أمعنا النظر في الواقع الحياتي، نستشف أن السلوك الإيجابي هو الأثر الذي ينطبع فينا جراء تعاملنا مع الآخرين، وهو أيضاً الأثر الذي نتركه لدى الآخرين. فنحن حين نلتقي بشخص ما، قد لا نتذكر لون عينيه، أو تفاصيل وجهه، أو شكله، لكننا حتماً نتذكر ما قاله لنا، وكيف تصرف معنا، فذلك هو الأثر الباقي.

ويتبادر سؤال إلى ذهننا يتمحور حول: كيف يمكن للمرء أن يواجه الظروف اليومية وتقلباتها من دون أن تعكّر تلك الظروف حالة النفس الإيجابية؟

للإجابة عن هذا السؤال، لا بد من الانطلاق من واقع النفس التي تحوي السلبية إلى جانب الإيجابية، وبالتالي فإن أي شخص قد يمارس غالباً الإيجابية كما السلبية، في إطار تعامله الخاص والعام. وتكمن أهمية التجربة، أو الظروف اليومية، في كشف مستوى إيجابية النفس، ومقدرتها على توسيع نطاق الإيجابية على حساب السلبية فيها، ولا يتحقّق ذلك إلا من خلال إرادة الانفتاح على التعلّم والتعمّق في الخبرة الحياتية العملية، تعلّم الصواب من الخطأ، مما يساعد على مدّ جسور التواصل مع الآخرين على جميع المستويات. فالتجربة ضرورية لتثبيت الصفات الإيجابية وترسيخها في النفس، عبر كشف النواقص، وإلقاء الضوء



عليها. ولتجنّب الوقوع في النظرية نوضح أن علم الإيزوتيريك، هو كأى علم يقدم مادته العلمية كمعلومات، أو كمعرفة نظرية على أن يلي مرحلة الاطلاع النظري، مرحلة التطبيق العملي، وذلك لترسيخ النظرية باعتبارها وعياً مكتسباً في النفس، إذ لو كان بإمكان أي فرد أن يكون إيجابياً مئة في المئة، فلن يكون هناك من مشكلة؛ لكن الواقع يشير إلى أن الوعي ينمو ويتوسّع من خلال التطبيق العملي، وخوض التجارب كاملة مع كل ما تحمله من

تحديات، وما تكشفه من تقلبات نفسية فالوعي يدعونا إلى إعطاء كل شيء حقه في الحياة؛ علماً أن التصرف الإيجابي قد يقتضي أحياناً اعتماد الحسم والحزم والجزم في وقت الضرورة، واعتماد ذلك مع النفس أولاً قبل كل شيء، اعتماده لتقويم موقف ما، أو واقع ما استفحلت فيه سلبية التصرف، إلى جانب أهمية استدراك، أن الحيادية والتهاون والجمود هي سلبات فكرية ومسلكية تُضعف الشخصية البشرية.

مما لا شك فيه أن كل فرد يعيش من خلال حياته الخاصة والعامّة أوجه شراكة متنوّعة، وفي هذا الإطار، كثيرة هي تصرفات الآخرين التي تعكس صفات كامنة في نفس كل منا، مما يجعل النطاق الحياتي الخاص بنا مرآة تعكس ما نحن عليه، كي نرتقي فوق الواقع الذي نراه أو نستشفه من حولنا حيث تدعو الحاجة إلى ذلك، فنعلّم منه أو نصحّ نفوسنا بموجبه. يكفي أن نشير إلى أن الأفكار والتصرفات السلبية، هي أشبه بالدهون التي تتراكم في الأوعية الدموية والشرايين، فتسبب بانسدادات، تولّد أمراضاً مستعصية إذا ما غصّ المرء النظر عن تصحيحها. وعلى هذا الأساس قدّمت مؤلّفات الإيزوتيريك تقنيات عملية، تساعد المرء على إزالة الصفات السلبية من النفس البشرية، وإحلال الإيجابيات مكانها، علماً أن ذلك لا يعني الوقوع في المثالية، أو في الجمود، أو الحيادية؛ وإنما يعني اكتساب المقدرة على تحويل طاقة النفس إلى طاقة إيجابية فاعلة، وذلك من خلال تغذيتها بالتجدّد والتنوّع في توسيع الوعي وكل ما يعزّز الإيجابية فيها. فجّل ما يريده علم الإيزوتيريك، هو رفع مستوى الوعي الفردي، وبناء صرح الشخصية البشرية الواعية لواقعها وأهدافها في الحياة.

بقلم:

الباحثة الهندسة هيفاء العرب

www.esoteric-lebanon.org
info@esoteric-lebanon.org